إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الرابعة – العدد الثالث عشر – ربيع ١٣٩٣ش / آذار ٢٠١٤م
صص ٨٤ ـ ٦٥

التعاليم الإسلامية وتوظيفها فى الشعر البحرينى المعاصر

حسن شوندى*

الملخص

إنّ التطورات التى أحدثت فى المنطقة فى السنوات الأخيرة تدلّ على الوعى الإسلامى للشعوب إلّا أنّ هناك من لايخضع لدور التعاليم الإسلامية فى هذا الوعى ويرى للثورات فى المنطقة أسبابا أخرى غير إسلامية.

وممّا لاشّك فيه أنّ الصحوة الإسلامية فى المنطقة بدأت باحتلال فلسطين، واستمرت بعدها بالصراعات الفكرية ثمّ الميدانية بين النزعات المختلفة التى تميل بعضها إلى الغرب وأخرى إلى التراث الدينى الوطنى دون ثقة بالغرب.

وهذه الصحوة واضحة فى الأدب العربى كما هى واضحة فى الأدب البحرينى الذى نحن ندرسه فى هذا المقال حيث نواجه الألفاظ التى توحى بتعاليم الدين الإسلامى مثل "النبى، والقرآن، والربّ، والمعراج، والشهيد". ثمّ لانجد تقريبا شاعرا لم يتناول الاحتلال الصهيونى لفلسطين. إضافة إلى أنّ استخدام "شاورن" رمزا للقتل و الدمار، ورفض سيطرة الشركات الغربية لاسيما الأمريكية للبلاد، ومجابهة الاستبداد ورفض ذلّة الحكام أمام القوى المستكبرة العالمية كلّها تدلّ على البواعث الإسلامية لثورات المنطقة.

الكلمات الدليلية: البحرين، الشعر، الصحوة الإسلامية، فلسطين.

---

*. أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج، إيران. Hsh50165@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هومن ناظميان
تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٢/١١ش تاريخ القبول: ١٣٩٣/٥/١٢ش

المقدمة

تكشف البحوث الدقيقة أنّ المحاولات لاحتلال فلسطين كانت أقدم مما سجّله التواريخ الرسميّة فى الكتب حيث يمكن مشـاهدة المبادرات الأولى فى شراء الأراضى الفلسطينية واشترائها منذ أكثر من نصف قرن قبل سنة ١٩١٧م. (باقرى وفرزاد، ١٣٧٦ش: مقدمه) فـإنّ اهتمام اليهود بالحصول على موافقة السـلطان العثمانى عبدالحميد على اشـتراء الأراضى الفلسـطينية كلها تدلّ على عزم سابق للصهاينة على تأسيس دولة جديدة فى الأراضى المحتلة.

فلذلک يمكن القول بأنّ الصحوة فى العالم العربى تزامنت مع محاولة الغرب للسـيطرة على العالم الإسـلامى. فيشـير نجيب العازورى سـنة ١٩٠٥م إلى ظاهرتين مهمّتين فى هـذا العصر وهما صحوة الشـعوب العربية من جهة ومسـاعى اليهـود التى تهدف إلى تكوين جديد للحكومة الإسرائيلية القديمة من جهة أخرى، ويعتقد بأنّ المسلمين العرب واليهود بدؤوا بالتحارب معا حتى الانتصار النهائىّ، ومصير العالم كله تتعلّق بنتيجة هذه التخاصم والتحارب. (نفس المصدر: ١٣-١٤)

والذى لايجدر الإهمال عنه هو أنّ الدول المسـتعمرة وجدوا التفرقة بين المسـلمين أفضل خطّة لتهزيمهم. فنجدهم قاموا فى العصر العثمانى بنشر النعرات القومية بين الأتراک من جهة والعرب من جهة أخرى. فالشـباب الأتراک كوّنوا حركة قومية يواجهون بها العرب، والعرب شكّلوا جمعيات عربية تقابل الجمعيات القومية للأتراک.

إضافة إلى هذه الجمعيات التى اسـتخدمها المسـتعمرون لإثارة النزعات القومية فى الدولة العثمانية نجدهم يتّهمون الدولة العثمانية بانتهاک حقوق الإنسـان، ويحاولون أن يجعلـوا الناس فى الدولة العثمانية تابعين لهم أو عاجزين عن القيام بمتقن الأعمال، وأن يوجدوا المشـاكل الاقتصادية. فهذه الأسـاليب كانت ناجحة فى إيصالهم إلى أهدافهم بشكل غير مباشر وفى تحطيم صمود الشعوب أو تفشيلهم.

ثمّ إنّ الثقـة بالغرب مهّدت طريق الدول المسـتعمرة فى الوصـول إلى أهدافهم فقام عـدد منهم يدعمون الغرب يظنّون به ظنّ الخير ويقفون فى وجه معارضيه. فعلى سـبيل المثال نرى على الرمادى بعد سـنة من تجزئة فلسطين من الدولة العثمانية يعدّ بريطانيا

من حماة المظلومين ويغلو أحيانا أكثر من ذلک ويعدّها من ناصرى الإسلام ومحبّيه. كما نجـد "إبراهيم بز الحداد" يرى بريطانيا هى الّتى حرّرت فلسـطين وخلّصتها من الدّولة العثمانية. فلذلک يدعو لها بالسعادة الأبدية. (نفس المصدر: ٣٥)

ثمّ غلبة البواعث الشـخصية أو العائلية فى تكوين الأحزاب والجمعيات انتهت إلى عدم ثقة الشعوب العربية بها ممّا أدّى إلى مخالفتهم لها. فلذلک نرى الشعراء المعاصرين العرب مع فخرهم بمجدهم الماضى ينقدون المواقف السياسية للدول العربية حول القضايا العربية لاسيما القضية الفلسطينية التى عقّبها احتلال الأراضى القلسطينية.

كما نجدهم يتهمون الحـكام العرب بأنّهم أداة بأيدى الدول الغربية يقودون المجتمع نحو اليأس ويهيّئونهم لقبول الـذّلّ والهوان. فنراهم يخاطبون القادة العرب قائلين بأنّهم خضعوا للتهديد الغربى الصهيونى لفلسطين مع أنّهم أثرياء ولكنّهم كاذبون عاجزون.

وكلّ هذه الأسـباب أدّت إلى ضعف الدول العربية وتوهين الشـعوب إلّا أنّ الدول العربيـة لم تنتبـه وذهب كل دولة إلى هواها. فتفرّق شملهم وتشـتّت آمالهم حتى وقعت الحرب سـنة ١٩٤٨م وانهزم العـرب، فصاح المفكرون والصحـف العربية منادين إلى الوحـدة بينهـم متهمين الحكّام بأنّهـم العامل الأول والأخير فى انهـزام العرب. (نفس المصدر: ١٠٥)

وبهذا الانهزام انتبه المفكرون والشـعراء العرب واتّسـعت رؤيتهم. فقاموا يبحثون عن عوامل الانهزام السياسـية والاقتصادية والاجتماعية ودرسـوا الأساليب المختلفة للحكومة الّتى كان يدعو بها البعض وعدّوها أسـاليب شيطانية أخذ بها الطبقة السائدة لتكبت الحريات الفردية والعدالة الاجتماعية وترويج الإباحية لتكثّر ثرواتها وتدّخرها. (نفس المصدر: ١٥٤)

وكلّ هـذه الأحـداث بعثت حركة فى الأفـكار الجامدة ومهّـدت الطريق للصحوة عند الشـعوب العرب ممّا أدّى إلى ظهور ألفاظ تؤيّـد الصمود والمقاومة مثل "الفدائى، المتسـلّل، والعائد". فأصبحت لفظة "الفدائى" رمزا لحيوية الشعوب العربية، لأنّ العرب منذ السـنوات البعيدة لم يكتسب إلّا الانسحاب عن مواقفهم والانهزام والذّلّ والهوان. (نفس المصدر: ١٦٧)

الصحوة البحرينية

الواضح أنّ الجهل هو العامل المهم فى انحطاط الشعوب. فاهتمام الناس بالمصالح العاجلة منعتهم عن اتّباع مفكريهم ومصلحى مجتمعهم، لأنّهم جهلوا أسباب سعادتهم الآجلة، فوقعوا فى فخاخ القوى المستبدة أو المستكبرة المعتدية، فعاشوا فى ظلّ العبودية لهم سنوات كثيرة. فإذا ساد الذلّ والخضوع مجتمعا بشريا ينعزل فيه أصحاب الرأى والفكر، فتحلّ السطحية محلّ التعمقية، ويسود المجتمع الفقر والإباحية من جانب، والكسل والإهمال من جهة أخرى. فتتلاشى الثقافة العامة وتعقم الأفكار فلا تولّد. فتفقَد القيم الإلهية أو تتبدّل إلى أخرى، وتحلّ الشهوة والمجون والإباحية محلّ العصمة والعفة والغيرة، فتتأثّر العلاقات الاجتماعية بالظروف السّيئة السائدة وتنفك وتنفصل كلها. فيشير إبراهيم العريص إلى جهل الناس وتأثيره فى المجتمع قائلا:

حتّام أرعى أمة فى الجهل لذّها البقاء
خلع العذار شبابها والشيخ فارقه الحياء
وعقول معظم أهلها كقلوب نسوتها هواء
وعليمهم و جهولهم فى الخطة المثلى سواء
وحديثهم إن حدثوا كذب ومين وافتراء

(العريص، ١٩٣٢م: ٩٧)

كما ترى الشاعر يتكلم عن الانحطاط الثقافى فى المجتمع بعد ما يعمّ الجهل فيه، فيشكو من هيمنة الذلّ وسيطرتها على الناس، ويصعب عليه تحمّل هذه الظروف. فيرى الحلّ فى إنذار الشعب وتنبيههم على الظروف، وتحريضهم على أن يثوروا ويغيّروا الحالة المؤسفة التى يعيش فيه المجتمع، ويعتقد أنّ الناس ماداموا يبحثون عن أحلامهم البعيدة لا عن الحقيقة والواقع، وماداموا يستهدفون أهواءهم فى حياتهم لن يحصلوا على شىء، ولن يعيشوا إلّا فى الظلام. فهم سيبقون بعيدا عن الحقيقة كما يقول الشاعر:

إنّما آمالنا تلهو بنا
مثلما يلهو بنا لمع السراب
لن يرى الإنسان وجه النور أو ظلّ الحقيقة

(رفيع، ١٩٧١م: ٣١)

وكذلک ينقد على الخليفة مجتمعه قائلا:

يا فارسى الذى أراک آتيا
تلوح فى المنام
تعال إنّنا مزيّفون
تعبث فى عروقنا أجنحة التعب
وساقطون بعد لحظة
أو هكذا: معلقون بالرياء والكذب

(خليفة، ١٩٧٣م:٤١)

فنلاحظ أنّ الشـاعر يشكو من الهمة الساقطة لشعبه وكذبهم وريبهم وريائهم، فكأنّه يئس منهم لايجد لهم من ينجيهم، فيخلق فى حلمه فارسـا يدعوه ليخلّصهم قبل أن يُصدّ سبيل الخلاص ويغلب عليهم العجز والفشل.

ويعتقد شـاعر آخر أنّ الثقة فيما بين الناس تشـكل أساس المجتمع البشرى، فأن سـاد عدم الثقة عليه يتلاشى المجتمع. فلذلک نراه يشكو من انحطاط القيم فى المجتمع ويئنّ من قطع حبال المودّة بين الأصدقاء بسهولة حيث يدَع بعضهم الآخر فى المصاعب والبلايا، فيقول:

يخذلنا جميع أصدقائنا
تسحقنا حقيقة مريرة
جميع أصدقائنا الأحباب
يرمون فى وجوهنا أقنعة التراب

(حداد، ١٩٧٠م: ٤٨)

فالشـاعر كما تلاحظ ينذر الناس من الوقوع فى المهلكة ونسـيانهم القيم الإنسانية ويحذّرهم من الخطر الذى يهدّد أركان المجتمع الإنسـانى. كمـا نجد "المعاودة" يخاطب شعبه يريد إنهاضهم قائلا:

أبـنى أوال وإنّهـا لخريـدة و وديعـة الآبـاء فى الأنبـاء
وما للغريـب بها يعيـش منعّما أسـفا و نحـن بزمـرة الفقـراء

أبـنى الجزير شـيبها و شـبابها ليـس الحيـاة تطيـب للجبنـاء
هيّا اقشعرّوا حجب الضلام وشمّروا واسـعوا لحقكـم بلا اسـتجداء

(المعاودة، لاتا: ٥٦)

فالأبيات تعريض للحكام الذين باعوا الوطن للأجانب الذين يعيشـون فيه عيشـة منعّمة، وجعلوا عيشه لأهلها ضيقا منغصا، فهم يعيشون فى فقر ولا يذوقون إلا مرّ الحياة وصعوباتها. فالشاعر يشجّع شعبه لأن يتركوا الجبن وأن يثوروا على الحكام المستبدين من جهة والأجانب من جهة أخرى، لأنّ الحياة ليسـت إلّا للأبسـال والشجعان الذين يسعون نحو النور والسعادة ولا يرضون بالذّلّ والعيش فى الضلام.

ويمكن أن نرى مثل هذه المحاولات للشـعراء البحرينيين الآخرين لتحريض الشعب وإنهاضهم ضدّ الحكام والدول المتعدّية المسـتكبرة العالمية. فنجد على الخليفة يشـّجع الشعب يقول:

كل الفوارس التى ترى
سيوفها من خشب

(الخليفة، ١٩٧٣م: ٤١)

فحكام العرب الذين يدّعون أنّهم يدافعون عن الشـعوب العربية وحقوقهم، شحّنوا بلادهم بالأدوات الحربية، ولكنهم لم يسـتخدموها أبدا ضد أعداء الشـعوب العربية أو الدفاع عنهم. فالشـاعر كما تشـاهد يسـخر من الحكام ويعّدهم فوارس سيوفهم من الخشـب، لأنّهم لايهدّدون الأعداء بأسـلحتهم. أمّا مخالفة الشاعر ومعارضته فلا تقتصر للحـكام فقط بـل تتجاوز منهم إلى الخطباء الحكوميين الذين نسـوا واجبهم فى توعية الشعب، فأصبحوا آلة خداع بيد الحكام، فيقول:

والكلمات، سيدى، هياكل اللعب
كل المنابر التى ترى
خطيبها يؤمّ بالدجل
ويسكن الخواء نفسه

(خليفة، ١٩٧٣م: ٤١)

ويمكن لنا أن نرى الشكوى من الحكام والشعوب فيما يلى أيضا:

أنا يا رفاق الحروف
جبان كأرنبة لا أطيق حياة السجون
ويرعبنى المخبرون
وأكره لقيا المنون
وأهوى الخلاص
أمقت صوت الرصاص
أنا أعشق الشعب لكننى
أخاف من السادة الحاكمين

(القصيبى، ١٩٧١م: جريدة الأضواء)

فالشاعر كما تلاحظ يذمّ الجبن ويعتقد أنّ حبّ الشعب لايخلو من المشاكل والمصاعب، ومن يدّعى حب الوطن وشعبه عليه أن يتذوّق برغبة تامة مرارة العيش فى القيود والسجون ويترك الخوف من رجال الأمن إلى جانب، ويرضى بالموت ولايخوّفه رعود الرصاصات. فيدعوا بذلک الشاعر شعبه إلى الشجاعة واليقظة والنهضة، وينقد رجال الحكم الّذين هم مصدر الخوف للشعب وتهديدهم بدلا من أن كانوا أمنا لهم وسكنا.

ومن أسباب مواجهة الشعراء للحكام هى مكافحتهم لكبت الحريات فى بلادهم وسيادة الاستبداد والظروف السيئة لمجتمعهم. فيرى قاسم حداد نقد الحكم والظروف الاجتماعية هدية لإصلاح حالة الشعب السياسية والاجتماعية ويتوقع الشكر والتقدير لدعاة الحرية من الشعراء إلّا أنّهم لايواجهون التقدير بل يوهَنون ويعذّبون بالسجن ويقتَلون. فيقول الشاعر:

يولد الشاعر ولايعطونه الفرح
لكن يعّدون له السجن والنعش والمقصلة

(حداد، ١٩٧٦م: ٧٨)

فهذه الرؤية واضحة أيضا عند على الشرقاوى حيث يخالف سياسة الحكام حتّى

يواجه تهديد الحكم. هو يقول:

حين تعّلمت "لا" تعوّدت أكل السجون

(الشرقاوى، ١٩٧٥م: ٣٥)

والشعراء كان أمرهم يصير إلى التهديد والسجن، وكانت الظروف لاتوافق الشعراء وحياتهم، وكان يضيق بهم العيش بحيث نجد الشاعر البحرينى "المعاودة" يصف حالة عيشه فى السجن ويشبّه هواء السجن برياح جهنّم، ووحشة الغربة والانفراد فيه بالقبر، فيعدّد اللحظات وينتظر لقاء الموت راجيا بعد موته حياة طيبة يبحث عنها فى حياته الدنيوية، فيقول:

كانّ هواء السجن ريح جهنّم و وحشته كالقبر ضقت بها أمرا
تمرّ بى الساعات أراقبها فإن مضت قلت علّ الخير ألقاه فى الأخرى

(معاودة، ١٩٤٢م: ٣٧)

ومع ذلک كله لا ينسى شعراء الحرية أهدافهم، ويرون الخضوع أمام مشاكل المجتمع ومصاعبه جمودا وذلّا وموتا حقيقيا. ويواجهون برغبة كاملة التعذيب ووحشة الغربة فى السجون حتّى الموت دون الانسحاب من أهدافهم المنشودة، فيقول الشاعر:

أرفض أن أكون حجرا
أو قبضة تمسک بنيانكم المنهار
أرفض أن أبيع أو أباع
حتّى ولو حوصرت
وأغلقت فى وجهى الدروب
حتّى ولو منعت من تنفس الهواء
وأوقفتنى الشارة الحمراء

(يوسف حسن: صدى الأسبوع، ١٩٣٧\١٢\٣١)

والابتعاد عن القيم الإلهية والإنسانية هو سبب آخر للمشاكل الاجتماعية التى هى صدى لفقدان القيم السامية واتجاه الإنسان نحو المعتقدات المادّية ونزعاتها كالرسمالية التى لاتقيم إلّا باكتساب الثروات واستهلاک المنتجات الجديدة وهى بذلک استعباد

حديث لاشعورى للإنسان اليومى لمصالح أولى الثروات. فيصف الشاعر البحرينى التجار الرأسماليين وحالة الفقراء قائلا:

تحتكر الثمار
يتّخم التجار
ونحن فى عالمنا .. نحلم بالحصاد

(حداد، ١٩٧٠م: ١٨٤)

ثمّ إنّ شـيوع الكلام بلا عمل من جانب الحكام والخطباء وبعض من الشعراء يخرق المصداقية الشـعبية، لأنّهم يقولون ما لايصدّقونه بأنفسهم. فيغرقون فى المادية والدنيوية ويلهون بالملاهى فى حين يدعون الشعب إلى الخير والإحسان. فيشير الشاعر إلى ذلک قائلا:

آه كم تاهت معانيها وزيّفنا العبارة
ورفعنا فوق هامات الحروف
خطباء جوفاء ..
صفقنا طويلا لشعارات التجارة
وتساقطنا عرايا
لا صلاة الفجر تجدينا ولاغسل الطهارة.

(حمدة خميس، الفجر والليل الزايف، مجلة هنا البحرين يناير ١٩٧٠)

ومن الشـعراء البحرينيين الآخريـن الّذين قاموا بتحريض شـعبهم ضد الظلم هو يوسـف حسـن الذى يرى الصمت مقابل الظلم للناس تحقيرا للوطن وشعبه. كما يرى تلويث عرض الوطن وتاريخه محاولة لاحتلاله. فيقول:

مزّقوا أوطانكم
بصّقوا فى وجهكم
لوّثوا تاريخكم
غيّروا وجه الخرائط
نصبوا بوّابة كبرى على وجه الخليج

علّقوا يافطة حمراء فى كلّ الموانئ

(يوسف حسن: صدى السبوع، ١٨\١\١٩٧٢)

سـيئت الظروف فى المجتمع البحرينى للتدخّل الأجنبى فى شـؤونها. فذلّ أهلها وفقد عزّه وتحسّـن حياة الأجنبى فى البحرين بعد أن سـاءت حياة أبنائه. فكان الشعب يعمل ويكلّف نفسه المتاعب والمشاقّ لصالح الأجنبى. فلم يكن نصيبه إلّا الفقر والخضوع بينما كانت العزّة والفقر غريم الأجنبى:

فقراء فى أوطاننا وغريمنا يجبى إليه بكدّنا الأموال
غرباء فى أوطاننا وغريبها وقف عليـه العزّ والإقبال

(الخاطر، ١٩٧٥م: ١٤٣)

فالشاعر يشكو من الصمت المطبق على المجتمع البحرينى، ويعانى من تذوّق الشعب الموت لحظة بعد لحظة دون أن يصرخ فى وجه الظلم. فينادى شعبه متعجبا:

لمَ لانرفع صوتا؟
بينما فى كلّ ساعات الزمان
يشبع الإنسان موتاً

(رفيع، ١٩٧٠م: ٣٥)

فلا يرى الشاعر طريقا للتخلّص من هذا الذل والخضوع إلّا بالتضحية وبذل النفس. فيشبّه الحرية بحسناء يركع الناس لعيونها الساحرة حينا ويسجد لها حينا آخر ولايحظى بوصالها إلّا المجاهدين والمضحّين الذين ضرّجوا بدمائهم، فلا وصال الحسـناء للجبناء الضعفاء. فيقول:

يا سـادة لمخضبيهـا بالدماء وصل وللمسـتضعفين صدود
الناس خوف لحاظ عينيک ركّع طـورا وطورا للعيون سـجّد
ما كان سمّـاک الورى حرّية إلّا وحرّ العبد عنک شـديد

(الخاطر،١٩٧٢م: ٥٥)

فكأنّ الشاعر ييأس من شعبه لركونه للظلم وعدم استماعه لنصائح الشاعر ومواعظه، فيستكين لخمولهم ويقول :

وأوقفت أشـعارى على نصح أمّتى ولم أتبـدّل فى مقـال ولاقصـد

فكان جزائى أن أكــون كما أرى أحاول غرس الزهور فى الحجر الصلد

(المعاودة، لاتا: ٩٤)

فلذلک نرى الشــاعر كأنّه يندم من إنشــاد الشــعر لشــعبه ويرى محاولته لإيقاظهم كمحاولــة مــن يحاول غرس الزهر فى الحجــر، فيلومه أصدقاؤه مما يؤدّى إلى شــعوره باليأس. فيصرخ بأنّه لن ينشد شعرا من أجل أمّة ليست لها آذانا تستمع بها النصائح ولا عيونا تبصر بها الحقيقة، فيقول:

لن أقول القوافى وهى ضائعة ما بين قــوم بلا سمع ولا بصر

(الخليفة، ١٩٦٦م: ٧٣)

كما يلاحظ أنّ الشاعر يرى شعره تضيّع فى قومه وقد يسوده الحزن والكآبة واليأس. فيملّه البقاء فى وطنه الّذى منعه عن الآمال. فيقول:

إنّى مللت قعودى فى ثرى وطنى ففيه مانلت غاياتى ولا وطرى

(الخليفة، ١٩٦٦م: ٣٧)

فالضغوط النفســية وفقدان الحرية وســيادة الاســتبداد إلى جانب الصمت القاتل للشــعب وجهلهم لمصالحهم جعلت دعاة الحرية والشــعراء والوطنيين فى حرج أرغمهم على ترک آمالهم فى وطنهم مع حنينهم إليها. فهذا هو الشــيخ الوائلى يعلّل ســبب ترک وطنه قائلا:

وطنى العزيز لقد هجرتک مكرها وهجرت فيک مطارحى ووسادى
لا عــن قلــبى ولا عــن رغبــة فى غــير أجيالى وغــير وهادى
لكن نفســا حــرّة نشــأت على سنن العلى حجبت علىّ رقادى

(الوائلى، ١٩٧٥م: ٢٥٠)

كما تلاحظ أنّ الشــاعر يخاطب وطنه محبّا له معزّزا شــأنه، فيهجره بكراهة لا عن رغبة، ويتركه دون أن يضغن للوطن أو يرجّح حبّ شــعب على شعبه، بل يتركه مرغما لســيادة الاســتبداد عليها وكبت الحريات فيهــا مما أدّى إلى ضيق الجــو الاجتماعى والسياسى للأحرار الذين عاشوا دائما شرفاء أعزّاء. ثمّ يتحدّث الشاعر عن مجد وطنه القديم ويتذكّر تراث المجد والعزّة الّذى نال بهما الأســلاف بتحمّل المشــاكل والتضحية وعدم الخضوع إزاء الظلم، وكذلک بعزم حازم، فينشد قائلا:

وطنى ورثناه عن الأجداد وتراث عزّ ثابت الأوتاد
ملّكوه بالسمر العوالى عنوة واستخلصوه بهمّة وعناد

(الوائلى، ١٩٧٥م: ٢٤٧)

وفى كلام الشاعر فيما سبق كما يلاحظ تعريض لخضوع الحكام والشعوب أمام الظلم وكبت الحريات، فيذكّر الشاعر الحكام بتاريخ وطنهم الماجد ويقول إنّ الحكم لا يتمّ إلّا بهمّة عالية وعزم حازم للصمود أمام الأعداء. فيطعن الشاعر بذلک الحكام بأنّ ضعفهم أمام الأعداء يهدّد المجد القديم والعزّ السالف الّذى أورثه حكام العرب القدماء، ويدعوهم أن يذودوا حمى وطنهم وعزّة شعبهم.

ونجد مثل هذا المضمون لشاعر آخر بحرينى يتألّم من الحالة المؤسفة الّتى تسود وطنه وتثقل صدره وتجرح قلبه، وهى حالة الخضوع والذلّ للشعب والحكام أمام المستبدين من جهة والمستكبرين من جهة أخرى. فيقول:

صدرى ثقيل بالهموم وإنّما
تأتى الهموم لصاحب الوجدان
أجد الحياة إذا افتكرت كئيبة
فكأنّنى فيها بدار هوان

(عبد الرحمن الرفيع، جريدة الأضواء: ٩\١١\١٩٧١)

ففى البيتين السابقين يجد الشاعر الناس فى غفلة عمّا تصيبهم من المصاعب والبلايا، إلّا أنّ فيهم عددا قليلا ذوى الوجدان يدركون ما يحدث فى مجتمعهم دركا عميقا ويحلّلونه تحليلا صحيحا ليس لهم سوى الحزن والألم والمعاناة. فتيأسهم الحالة هذه وتضجرهم الحياة لأنّهم لايجدون سبيلا للتخلّص من الذّلّ والهوان. فالبيتان لا تحملان سوى اليأس والحزن والألم والشعور بالغربة من جهة وسيادة الهوان على المجتمع من جهة أخرى. فكأنّ البيتين صراخ على الغفلة ومؤاساة مع الأحرار الغرباء فى أوطانهم. ونسمع الشاعر يصرخ فى كلماته الأخرى قائلا:

يا أيها الإنسان أين أنت؟
بالله أين أنت؟
سألت عنک كلّ من رأيت،

فقيل لى: مضى ...
و ودّع المكان
فلن ترى الإنسان ها هنا
ولو بحثت عنه
لآخر الزمان
فالناس فى مدينة الهوان
تنام فى أمان
وتطلب النعيم فى الجنان

(رفيع: ١٩٧٠م: ١٨)

فالشعور بالغربة عند الشاعر واضح فى الأبيات السابقة، فكأنّه يبحث عن إنسان للهروب إليه من الغربة، ولكنّه يظلّ مستكينا، لأنّه يسأل عنه كلّ من يرى إلّا أنّه يفاجئ بإجابة خيّبت الآمال وهى: أنّه ترك المكان وأنت لن تلتقى به هنا. فيُشعر الشاعر بذلك أنّ غفلة الناس ونيامهم متواصلة لاتنتهى، فإنّهم خضعوا للذّل والهوان راضين. كما أنّ الأبيات توحى بأن خضوع الناس للهوان يؤدّى إلى فقدانهم قيمتهم الإنسانية وشرفهم، فلا يعدّ الشاعر الفاقد لها إنسانا حقيقيا. فلذلک يجد نفسه منفردا وهو يعيش معهم، ويبحث عمّن يؤاسيه ويآنس إليه فى وحشته ويلوم شعبا خاضعا للذّلّ يتنامى ليأمن، ويسخر منهم، لأنّهم يطلبون فى الهوان الجنة والنعيم.

ومن مظاهر النهضة البحرينية الإسلامية هى استخدام لفظ الشهيد فى أشعار شعرائها. فانظر الأبيات التالية تجد العواطف الدينية:

يا نجما هزّه الشوق إلينا
ورسمناه شهيدا
وحفرناه شهيدا
فوق كل الواجهات
فوق هامات الرجال السمر

(العويناتى، ٢٠٠٣م: ١٣٩)

فالكلمة المحورية التى يتناولها الشـاعر فى الأبيات السـابقة هى كلمة الشهيد الذى ضحّى بنفسه فى سبيل الحرية، فأصبح فى حياته كنجم ساطع يرشد الناس ويهديهم إلى الرشاد، وينفخ فيهم روح الأمل إلى المستقبل. فلذلک نرى الشاعر يرسم له مكانة تفوق نجوم السـماء ويبالغ فى رسمه لها حيث يقول بأنّ الشـهيد أرفع مكانا منه فيشبه النجوم بالشهيد مكانة. فالشاعر يعظّمهم قائلا بأنّا حفرناهم فوق هامات الرجال.

وهناک شـاعر آخر يتحدّث عن الشهيد عبدالله حسين يشير إلى أسباب استشهاده قائلا:

كبرت بنت البساتين .. تنامت
فى رياح المستحيل
كانت السقيا.. دماء
كنت عبدالله تاريخا من الذلّ
وللفقراء وعاء
رافض أنت مرفوض عنيد
عبر تاريخ الولاء
إنّنى اليوم تذكّرت أباک
حين لم يقو على كسر الحديد
يوم جرّوه صبح الأربعاء
وعلى الأرض أمام الجميع فى سوق الكبير

(خليفة، لاتا: ١٩)

كما تلاحظ فى الأبيات السـابقة يثور الشهيد على عبدالله على الهوان الذى سيطر على شـخصية الإنسان البحرينى وجعلها محط الفقر والحرمان. فلايستسلم الشهيد للذّل والهوان، ولذلک يغضب عليه الحكم السائد الذليل وذلّة السائدة ويقتله شهيدا ويجرّ أبا الشـهيد على شوارع المدينة إهانة له وتحقيرا لرموز مقاومة الشعب لتداس عزّته بعدما عاش طويلا فى السجون بين السلاسل أبيّا.

والشـاعر البحرينى لاينسـى مصير وطنه، فيصرخ فى وجه مـن يتّفق مع الأجانب

ويبيعه لهم. فيعاتب الحكام قائلا:

بقيت بلا وطن داخل وطنى ..
صرت.. منفيا أبحث عن وطنى
داخل وطنى
لاحظته منطويا فى ورقة .. يبكى ..
داخلها ..
قرأت للسلطان .. توقيعه ..
والرخصة التى باع بها الوطن

(العويناتى، ٢٠٠٣م: ١١٤)

فالشـــاعر يشـــعر بالغربة مع أنّه يعيش فى وطنه، لأنّ الوطن قد بيع للأجانب بتوقيع الســـلطان، فأصبح بتواجد الأجنبى فيه منفى للشـــعر. كما أنّ الشاعر يشكو من سيطرة الشركات الأجنبية على الوطن يقول:

نحن الشركات الأمريكية
نحن أعداء البشرية
نقتل كلّ رفاق الحرية
ها أنا شركات نقتل من تقدر أن تقتل
من زمن القرن العشرين
حتّى فى زمن القرن الحادى والعشرين

(المصدر نفسه: ١٢٤)

فالشـــاعر يعدّ الشركات الأجنبية أعداء البشـــرية الذين يقتلون اليوم دعاة الحرية كما كانوا يقتلونهم فى القرن العشرين. فيشير الشاعر فيما سبق إلى السلطة الاقتصادية للدول المستكبرة مما يبدو عن صحوة الشعراء البحرينيين الإسلاميين. وهذه الصحوة التى تتجذر فى المعتقدات الدينية والتعاليم الإســـلامية واضحة فى أشـــعار الشعراء الآخرين. فانظر فى اســـتخدام ألفاظ " الله، والشهداء، والأنبياء، والأولياء، وربّى، والإسراء" فيما يلى:

يشهد الله أنّكم شهداء
يشهد الأنبياء .. والأولياء
متّم كى تعزّ كلمة ربّى
فى ربوع أعزّها الإسراء

(القصيبى، ٢٠٠٢م: ٧)

فالشاعر يشهد الله بأنّ الذين ضحّوا بأنفسهم هم الشهداء، كما أنّ الأنبياء والأولياء يشهدون على أنّهم استشهدوا لتعزّ كلمة الله فى أرض معراج النبىّ (ص). فمن يخضع للذلّ هو الميّت لا الشهداء، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ولاتحسّبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحيلء عند ربّهم يرزقون﴾ فيواصل الشاعر كلامه مستنهضا شعبه ضد الصهاينة قائلا:

انتحرتم؟ .. نحن الذين انتحرنا
بحياة .. أمواتها الأحياء
أيّها القوم نحن متنا .. فهيّا
نستمع ما يقول فينا الرثاء
قد عجزنا .. حتّى شكا العجز منّا
وبكينا .. حتّى ازدرانا البكاء
وركعنا .. حتّى اشمأزّت الركوع
ورجونا .. حتذى استغاث الرجاء
ولعقنا حذاء "شارون" حتّى
صاح "مهلا، قطّعتمونى" الجذاء
وارتمينا على طواغيت بيت
أبيض ملء قلبه الظلماء
أيّها القوم .. نحن متنا .. ولكن
أنفت أن تضمّنا الغبراء

(المصدر نفسه)

والشاعر كما رأيت يبذل جلّ اهتمامه ليستنهض شعبه ضدّ الظلم باستخدام الكلمات التى تحمل معنى دينيا من جانب وتسـمية حكام بيت الأبيض و شارون بأنّهم طواغيت مـن جانب آخر، ويهدف بذلک إثـارة العواطف الدينية والوطنية لهم. وهذا إلى جانب أنّ المفهوم العام للأبيات السـابقة مستفادة من القرآن الكريم الذى يرى الشهداء بأنّهم أحياء.

ومن المفاهيم السـامية الإسلامية التى يعتنى بها الشاعر فى إثارة الشعب ضد الظلم هى الجهاد الذى يسـعى الغربييون والأعـداء الصهاينة وبعض المغفلين داخل البلاد فى السـنوات الأخيرة إلى تحريف معناه عن موضعه وجعله مفهوما ضدّبشـرية. فيعتقد أنّ الطريق الوحيد لنجاة الوطن وشـعبه هو إصدار فتوى الجهاد من جانب علماء الدين، ولذلک يشكو منهم ومن المفكّرين الإسلاميين لتأجيلهم لإصدار هذا الحكم الدينى ، فهم عاجزون صامتون عند ضرورة الشجاعة والإقدام والجهادز فيقول:

قل من ذبحوا الفتاوى رويدا
ربّ فتوى تضجّ منها السماء
حين يدعو الجهاد.. يصمت حبر
ويراع.. والكتب.. والفقهاء
حين يدعوا الجهاد .. لا استفتاء
الفتوى يوم الجهاد الدماء

(المصدر السابق: ١٠)

كما نجد فى أشـعاره ألفاظا أخرى تدلّ على نزعة الشاعر الدينية مثل أمّة القرآن أو صلاح الدين حيث يقول:

يا أمّ جرح الهوى يحلو .. إذا ذكرت
روحى مرارة شعب يرضع الأسلا
يفدى الصغار بنهر الدم .. مقدسنا
ما لى أقلّب طرفى .. لا أرى رجلا
أرى الجماهير .. لكن لا أرى الدولا

أرى البطولة .. لكن لا أرى البطلا
لا تذكرى لى صلاح الدين .. لو رجعت
أيامه .. لا ارتمى فى قبره خجلا
أين الكرامة .. هل ماتت بغصّتها؟
أين الإباء .. أمّل الجبن .. فارتحلا؟
عجبت من أمّة القرآن .. كيف غدت
ضجيعة الذلّ .. لا ترضى به بدلا
أسطورة السلم .. مازالنا نعاقرها
يا من يصدّق ذئبا صادق الحملا
حمامة السلم .. حلمى أن أقطعها
وأن يعود بصقر يقنص الوجلا
شارون نحن صنعناه بخشيتنا
كم خشية صنعت من فأرة جملا
تعملق القزم لّما قزّمت قمم
واستنسخت نملة فى ذعرنا جملا
هات الفؤاد الذى ثار اليقين به
واقذف بى النصر أو فاقذف بى الأجلا

(نفس المصدر: ١٥،١٦،١٧)

فالشاعر كما يلاحظ يعبّر عن الشهادة بـ "جرح الهوى" ممّا يكشف عن رؤيته إزائها حيث يراها حلوا بعد ما يذيقه الشعب من مرارة الحياة، فأحلى ما عند الشاعر تفدية النفس لإزالة المرارات عن الشعب.

كما يرى الشاعر جماهير الشعب فى ساحة الكفاح والدول الإسلامية غائبون عنها، وهذا ما يجلب الخجل؛ لأنّهم استخلفوا أبطالا كصلاح الدين الذى هو رمز للشجاعة والإقدام عند المسلمين، فإذا رجع صلاح الدين و رأى خضوع الدول الإسلامية للأعداء واستذلالهم أمامهم لجأ إلى قبره لشدة حزنه. فيسمّى الشاعر بذلك الحكام العرب أذلّاء

ويدعوهم إلى البسالة والإباء ويتمنّى لهم شجاعة صلاح الدين.

ثمّ نراه يسمّى الشعوب الإسلامية بأمة القرآن ممّا يدلّ أيضا على أنّ الرؤية السائدة على الشاعر هى الرؤية الدينية الإسلامية. فهو كشاعر إسلامى يشكو من خضوع الشعب أمام الظلم واستسلامهم له ويعبّر عن استنكاره لهم باستخدام كلمة "ضجيعة الذلّ" حتّى يحرّضهم و يستنهضهم ضد الهوان والاستكانة.

وهو لايصدّق شعار السلام الذى يعلنه القوى المستكبرة العالمية ويسأل مستنكرا ويقول كيف يصدّق أن يصادق الذئب الخروف والسبعية من صفاتها الذاتية.

فاستخدام الكلمات مثل الشهيد، امّة القرآن شارون، السلام العالمى، تدلّ على النزعات الإسلامية عند هذا الشاعر الذى يدرس قضايا البحرين ضمن قضايا العالم الإسلامى ويسعى إلى استنهاض الشعب البحرينى والشعوب الإسلامية وتضامنهم معا.

النتيجة

كما مضى فإنّ جهل الشعوب وخمولهم وكذلک خضوع الحكام للذل وفقدان القيم الإنسانية فى المجتمع وكذب الخطباء الحكوميين الذين يخدعون الشعوب فى خدمة المستبدين كلها تعدّ من أسباب نهضة الشعوب خاصة الشعب البحرينى. ثمّ معالجة كبت الحريات وتناول سجن دعاة الحرية واستخدام ألفاظ "الله، والأنبياء، وصلاة الفجر، الشهيد، والقرآن وأمّة القرآن، والجهاد، وصلاح الدين الذى هو رمز للانتصار الإسلامى، كذلک معارضة سيطرة الشركات الأمريكية، واستخدام كلمة "شارون" رمزا لقتل الأبرياء المسلمين هى دلالة واضحة لدور الفكر الإسلامى فى الصحوة البحرينية.

المراجع والمصادر

حداد، قاسم. ١٩٧٠م. ديوان البشارة. الطبعة الأولى. البحرين: الشركة العربية للوكالات والتوزيع.

الخاطر، مبارک. ١٩٧٥م. نابغة البحرين. الطبعة الأولى. البحرين: منشورات الشركة العربية للوكالات والتوزيع.

خليفة، على. ١٩٧٣م. إضاءة لذاكرة الوطن. الطبعة الأولى. بيروت: دار الآداب.

الخليفة، أحمد. ١٩٦٦م. بقايا الغدران. الطبعة الأولى. البحرين: المطبعة الشرقية.

خميس، حمدة. ١٩٧٠م. الفجر والليل الزايف. مجلة هنا البحرين. يناير.

رفيع، العبد الرحمن. ١٩٧١م. الطبعة الأولى. أغانى البحار الأربعة. بيروت: دار العودة.
سليمان، خالد. ١٣٧٦ش. فلسـطين وشعر معاصر عرب. ترجمه شهره باقرى وعبدالحسين فرزاد. الطبعة الأولى. طهران: نشر چشمه.
الشرقاوى، على. ١٩٧٥م. الرعد فى موسم القحط. البحرين: دار الغد.
عبدالله خليفة، على. ١٩٦٩م. أنين الصوارى. الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم.
العريض، إبراهيم. ١٩٣٢م. ديوان الذكرى. بغداد: مطبعة النجاح.
العويناتى، سعيد. ١٩٧٦م. الديوان. الطبعة الأولى. البحرين: دار الغد.
القصيبى، غازى. ٢٠٠٢م. الديوان. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
المعاودة، عبدالرحمن. ١٩٤٢م. الديوان. الطبعة الأولى. البحرين: مطبعة البحرين.
الوائلى، ١٩٧٥م. الديوان. تحت إشراف عيسى بن راشد. الطبعة الأولى. القاهرة: لانا.